مقاصد القرآن.. قراءة معرفية وتقويمية

د . محمد المنتار

الباحث في سطور

الدكتور محمد المنتار

- من مواليد مراكش 1980م.
- رئيس مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء- المملكة المغربية.
- مدير البوابة الإلكترونية للرابطة المحمدية للعلماء، www.arrabita.ma
- دكتوراه في الدراسات الإسلامية، جامعة القاضي عياض، مراكش ـ المملكة المغربية، تخصص أصول الفقه ومقاصد الشريعة.

من إنتاجه العلمي:

- «الأمر والنهي بين القصد الأصلي والقصد التبعي عند الإمام الشاطبي».
- وظيفية مقاصد الشريعة الإسلامية، رؤية منهجية.
- «طرق الكشف عن مقاصد الشريعة ودورها في الاجتهاد الفقهي».
- «مفهوم الأمة والإمامة في القرآن الكريم».
- «خصوصية النسق المفهومي القرآني».
- «مقاصد الشريعة وتدبير الاختلاف دراسة في فقه المقاصد عند الإمام الشاطبي(790 هـ)».
- هيمنة القرآن الكريم: المفهوم والدلالات.

مُقَدِّمَة

تعد الإحاطة بالمقاصد العامة للكتاب الكريم قاعدة متينة من قواعد التدبر واستنباط الهدى المنهاجي الكامن في القرآن.. تعصم من شطط التأويل، وزيغ الفهم، وانسداد الأفق، ولذلك جاء النعي على أقوام أعرضوا عن التدبر، فإذا هم في غفلة عن الأسرار، وشغل عن المقاصد ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [1].

وقد دعا القرآن المجيد الناس كافة إلى تدبره وتعقله وتذكره والتفكير فيه وتلاوته حق التلاوة، وترتيله ترتيلا، ونشكر الله تعالى أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سمى القرآن «مأدبة الله»، وما جعله الله جل شأنه مأدبة لعباده لا يملك أحد أن يمنعه عن عباد الله أو يضع شروطا وضوابط تحول بينهم وبين مأدبة الله، أو تحد قدرتهم على أن يصيبوا منها ما يستطيعون، ما تحققوا بشروط العيش في كنف هذه المأدبة، والسير وفق هديها، واسترشدوا بهدي النبي الخاتم، في الاطراح بين يدي كلام الله تعالى، استنطاقا له، واستكمالا للصعود إلى عليائه.. فاستحقوا بذلك صفة الهداية والرضوان إلى سبل السلام.

والقرآن الكريم باعتباره الأصل الأول والمرجع الأعلى للإسلام وشريعته، لا بد وأن يكون مستودع المقاصد الكلية والجزئية ومنجمها. والناظر في آياته وسوره يجده يتحدث عن مقاصده وغاياته؛ فهو كتاب للهداية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿١٦﴾ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ

(1) سورة محمد، الآية: 25.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] وهو كتاب لإخراج الناس من الظلمات إلى النور: ﴿أَلٓرٰ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۝١ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[2]، وهو لسعادة الإنسان: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[3]، وهو كتاب لإعزاز الأمّة: ﴿لَقَد أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[5].

ولا تخفى أهمية الكشف عن مقاصد القرآن في فهم مراد الله من كتابه، والرقي إلى عليائه، واستنباط الهدى المنهاجي الكامن فيه، وذلك بوضع الآيات القرآنية في سياقها العام والكلي، وإرجاع مقاصد الآيات والسور والأجزاء إلى مقاصدها الكلية في تناسب تام بين كل كلمة وكل حرف وكل مقطع من مقاطع القرآن، والاقتفاء الحثيث لأنوار الهداية الكامنة في النظم القرآني مصداقا لقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[6].

ومن كرم هذا الكتاب أنّه أعاد صياغة الأمّة التي أنزل فيها وعليها، وجعلها خير أمّة أخرجت للنّاس؛ نجاتها وحياتها في التخلق بالقرآن والتحقق بمعانيه.. ومن كرمه أنه بالإضافة إلى كونه المصدر الأول للتشريع، كما هو منصوص عليه في البحوث الأصولية والفقهية، هو تربية للعالم الإنساني بأكمله، ونور له في عالم الظلمات، تهدي إلى منابع الخير والجمال، لتنتهي به إلى غايات ومقاصد كليتها وجزئيتها العروج إلى علياء الأنوار الإلهية.

---

(1) سورة المائدة، الآيات: 16ـ17ـ18.

(2) سورة إبراهيم، الآية: 1ـ2.

(3) سورة طه، من الآية: 1.

(4) سورة الأنبياء، الآية: 10.

(5) سورة الزخرف، الآية: 43.

(6) سورة البقرة، الآية: 1.

والناظر في التراث الذي أنتج حول هذا الكتاب الكريم، يجد أن علماء المسلمين استشعروا منذ وقت مبكر مسؤولية القيام بهذا المقصد الكلي؛ واعتنوا ببيان مقاصد القرآن.

أما جهود المحدثين في هذا الباب، فلا يختلف حالها كثيراً عن جهود السابقين؛ فقد شاركوا بدورهم في تناول جوانب متنوعة من هذا المجال، بما ألفوه من كتب ومباحث متنوعة، بل كان لهم فضل تخصيص كتب بعناوين من أسرة هذا المركب، مثل أسرار القرآن، إبداع حكمة الحكيم[1].

واندراجا في سلك خدمة القرآن الكريم، ومن أجل القيام بقسط من واجبنا المعرفي تجاه هذا الكتاب الكريم، تولّد الشعور، وظهرت الرغبة في الكشف عن حياة هذا اللون المعرفي؛ متى نشأ؟ وكيف بدأ؟ وما هي إرهاصاته الأولى؟ وكيف نما؟ وكيف تطور في مختلف الأجيال؟ مع جرد خصائص كل مرحلة ومميزاتها، وذلك من خلال المحاور الآتية:

1) تتبع تاريخ هذا العلم وامتداداته من عهد النشأة إلى يومنا هذا، مع بيان وجوه العناية التي حظي بها.

2) الوقوف على أهم المصنفات التي عنيت به، وبيان ما يوجد في كل من هذه المظان، مع تحديد الجوانب التي طرقتها منه.

3) رصد رجالاته وأعلامه المبرزين في القديم والحديث.

4) استقراء نصوصه المطبوعة والمخطوطة، والتنبيه على قيمتها العلمية، والتعريف بمظانها، وتصنيفها تصنيفا علميا.

---

(1) انظر الملحق المرافق للبحث.

5) دراسة كل المعطيات السالفة دراسة علمية؛ وتقديم نماذج مع بيان قيمتها المعرفية والمنهجية في تحقيق معاني النص القرآني، والكشف عن مقاصده.

والقصد من هذا الجهد وصف الصورة التي نما بها هذا العلم بكلياتها وجزئياتها، وبيان المحطة التي وصل إليها، حتى تُعلم، فتُدرس دراسة ضافية، ليُبنى عليها أسّا متينا، يكشف عن وظيفيتها، ويكون له الأثر البيّن والنافذ في فهم مقاصد الكتاب الكريم، واستنباط الهدى المنهاجي الكامن فيه.

المبحث الأول: تعريف مقاصد القرآن وأنواعها

أولا ـ تعريف مقاصد الشريعة

أصل المقاصد من الفعل الثلاثي «قصد»، يقصد قصدا، وباستقراء مواقع استعمالها في معاجم اللغة، تبين أن لهذه الكلمة عدة استعمالات، كلها متقاربة المراد، فقد يرد القصد بمعنى الاعتزام والاعتماد والأم وطلب الشيء وإتيانه[1]، ويرد كذلك بمعنى استقامة الطريق[2]، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[3] والقصد: العدل والوسط، والقرب والاكتناز في الشيء.

والذي يظهر أن المعنى الأول هو الأصل في هذا الباب وهو المقصود أصالة، قال الزبيدي[4]: «وفي سر الصناعة لابن جني[5]:أصل «ق ص د» ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل ـ ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى فالاعتزام والتوجه شامل لهما»[6].

---

(1) انظر المصباح المنير، الفيومي، مادة: «ق ص د».

(2) انظر لسان العرب ابن منظور، القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة: «ق ص د».

(3) سورة النحل، الآية: 9.

(4) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، الملقب بمرتضى، من أهل اللغة والحديث والرجال والانتساب، من مؤلفاته: إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، توفي سنة 1205هـ، انظر: الأعلام للزركيلي (7/ 70).

(5) هو عثمان بن جني الموصلي، من أئمة الأدب والنحو، من مصنفاته: الخصائص في اللغة، توفي سنة 392هـ، انظر: الأعلام للزركلي (4/ 204).

(6) انظر: تاج العروس للزبيدي، مادة: «ق ص د»، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: « ق ص د».

من هنا جاء المعنى الاصطلاحي للمقاصد الشرعية؛ أي المعاني التي قصد الشارع إلى تحقيقها من وراء تشريعاته وأحكامه، والتي يستفرغ العلماء وسعهم في استقرائها من النصوص الشرعية. ولا بد أن نشير هنا إلى الأسماء التي اتخذتها مقاصد الشريعة في تاريخ التشريع الإسلامي، وهي وإن اختلفت في الألفاظ فقد اتحدت واتفقت في المعنى والمدلول، مثل قصد الشارع، وغرض الشارع، وما تشوف الشارع إليه، والحكمة، والمصلحة، والمناسبة، والغاية، وغيرها.

وقد حدّد الشاطبي الإطار التاريخي لنزول القرآن الكريم بالمقاصد والقواعد العامة بقوله: «فالضروريات الخمس كما تأصلت في الكتاب تفصلت في السنة .. وإذا نظرت في حاجاته اطرد النظر أيضا فيها على ذلك الترتيب أو نحوه، فإن الحاجيات دائرة على الضروريات، وكذلك التحسينات.

وقد كملت قواعد الشريعة في القرآن وفي السنة، فلم يتخلف عنها شيء، والاستقراء يبين ذلك، ويسهل على من هو عالم بالكتاب والسنة..»[1].

وما قيل في مقصدية القرآن الكريم، يقال في مقصدية السنّة النبوية من جهة كونها مبنية لأحكام القرآن وشارحة ومدعمة لها، ومن جهة كونها مبرزة لمقاصده وأسراره.

فالنّواحي المقصدية التي أقرها القرآن الكريم في الجملة هي التي عملت السنة على إبرازها وتأكيدها، بحكم العلاقة الوثيقة بينهما في بيان الشرع، قال الشاطبي رحمه الله : «..وذلك أن القرآن الكريم أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلبا لها، والتعريف بمفاسدهما دفعا لها.. وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور، فالكتاب أتى بها أصولا يرجع إليها، والسنة أتت بها تفريعا على الكتاب وبيانا لما فيه منها»[2].

---

(1) الموافقات: (4/ 20-22).

(2) الموافقات: (4/ 20).

فمنها ـ أي من السنة ـ تفصلت الكليات الخمس المشهورة، حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، قال الشاطبي: «فالضروريات الخمس كما تأصلت في الكتاب تفصلت في السنة»[1]، ومنها تبينت العديد من العلل والحكم والأسرار المتعلقة بالأحكام الفقهية العملية[2].

وعلى هذا المنهاج سار فقه الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين، الذين كان فقههم فقها مقاصديا يولي بالغ عنايته لحكم الشريعة وعللها، ويبني اجتهاداته على قاعدة أن لكل أمر ونهي مغزى يعقل على الجملة وإن لم يفهم على التفصيل.

وقد برز عدد من الأكابر الذين عكفوا على نصوص الوحي، وأخبار السيرة وأقوال الصحابة وفتاواهم فدرسوها بأدوات: الرؤية الموسوعية الشاملة، والاستقراء الدقيق، والبحث الموضوعي الرصين حتى استطاعوا أن يستخلصوا من ذلك مبادئ مشتركة صاغوها على صيغة أصول كلية، كانت معتمدهم الأول في استنباط الأحكام، وتطبيقها على الواقع المتغير، وتضمنت ضبطا منهجيا، وتحديدا محكما للأدوات المؤهلة للنظر الاجتهادي في عصرهم.

كما كانت لمن بعدهم أهم الأركان التي أقاموا عليها صرخا شامخا لنظرية المقاصد، ويأتي في طليعة هؤلاء مؤسسو المذاهب الفقهية الكبرى:الإمام أبو حنيفة النعمان (ت150هـ)، والإمام مالك بن أنس (ت179هـ)، والإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، والإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، الذين عرفوا المقاصد المصلحية كوجهة يؤمونها عند الإدلاء باجتهاداتهم وآرائهم، خاصة في المسائل التي لم ينص الشارع عليها، وإن كان مذهب مالك أصرح وأوضح في مراعاته للمصالح[3]،

(1) انظر: الموافقات (4/ 20).

(2) انظر: الاجتهاد المقاصدي (78ـ90)، ينظر في هذا الصدد تعليل الأحكام لمصطفى شلبي.

(3) وعن كثرة استخدام الإمام مالك لهذا الدليل يقول الشاطبي: «أما قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر، فإنه ـ أي الإمام مالك ـ استرسل فيه استرسال المدل العريق في فهم المعاني=

باعتبارها المقصد العام للشريعة، والمقصد الخاص لكل حكم من أحكامها، وخاصة في أبواب المعاملات والعادات[1]، بينما مراعاة المصلحة في المذاهب الأخرى، يشوبها نوع من التردد.

والحاصل أن الأئمة جميعهم كان لهم اهتمام كبير بناحية المقاصد، ووجوب رعايتها في فهم الأحكام وتنزيلها، وهو ما سار عليه أيضا من جاء بعدهم من علماء الأمة، الذين تميز بعضهم بتقديم إسهامات نوعية في تطوير هذا الجانب من المعرفة الإسلامية الخالصة، وأخص بالذكر[2]: الإمام الجويني (ت 478هـ)[3]،

---

(1) وقد بلغ من شدة وضوح الارتباط بين مقاصد الشارع، ومصالح الخلق، أن نجد أحد كبار الفقهاء المالكية عموما، ومالكية الغرب الإسلامي خصوصا وهو أبو بكر بن العربي (543هـ) يقرر أن قواعد المعاملات وأسس المعارضات أربعة وهي:

1. قوله تعالى: ﴿وَلا تَاكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَاكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَٰلِ النَّاسِ بِالاِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 187].

2. وقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 275].

3. وأحاديث الغرر. 4. واعتبار المقاصد والمصالح.

انظر: لأحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (1/ 96)، هذا وقد أورد الدكتور أحمد الريسوني جملة من التعليلات عن الإمام مالك، وهي تعليلات تربط الأحكام بمصالحها، وتفهم النصوص بمقاصدها، انظر: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني (ص:56ـ57)، و(63ـ64).

(2) لا داعي لدراسة من جاء على لسانهم ذكر أسرار الشريعة أو العلل الجزئية، لأن السمة البارزة للمقاصد الشرعية هي العناية بالكليات المقاصدية: الضرورية، والحاجية والتحسينية، وعلى هذا فدراسة من قبل الجويني من باب التحسين والتزيين لا من باب التأصيل والتقعيد، انظر: بعض ما جاء على لسانهم ذكر أسرار الشريعة، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للدكتور أحمد الريسوني (ص:23ـ29) والثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي، مجدي عاشور: (ص:103ـ127)، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية ، محمد البدوي: (ص: 75ـ100).

(3) للجويني في مضمار مقاصد الشريعة فضل سبق، ومن نخل كتابه: البرهان ، والغياثي أيقن ذلك، فقد نبّه، رحمه الله، على الضروريات الخمس المعروفة على وجه الإجمال، البرهان: (2/ 747)، وصرّح على=

والإمام الغزالي(ت505هـ)[1].

بل إن هذا الجهد لم يخل أحيانا من النقائص والثغرات في سياق تطلعه إلى بلوغ تلك الغاية المقصودة، فضلا عما صاحبه من سلبيات خطيرة، تجلّت في أن هذا المجال ـ مجال الكلام عن المقاصد ـ قد استهوى فيما يبدو طائفة من المثقفين من غير ذوي الاختصاص، فتصدوا للخوض في غمار مسائله من غير دراية كافية، وعناية كافية، لم تكن موفقة غالبا، ومن هنا لا يسمح للناظر في هذا العلم أن ينظر فيه نظر مفيد أو مستفيد، حتى يكون ريانا من علم الشريعة، أصولها وفروعها، منقولها ومعقولها، غير

= وجه التفصيل بمقصد الدين والنفس والنسل والمال، الغياثي: (ص:152ـ180ـ269ـ341ـ390ـ511ـ512)، كما أنه ذكر بعض أقسام المقاصد مثل المقاصد الدنيوية والأخروية، ومقاصد الشارع ومقاصد المكلف، الغياثي: (ص: 152ـ187ـ201ـ262).

قلت هذا السبق يبقى غير مقطوع به إلى أن تجرى دراسة مقارنة لمؤلفاته خاصة البرهان مع مؤلفات الباقلاني سيما التقريب والإرشاد، الذي قام الجويني بتلخيصه ثم نسج البرهان على منواله، مكثرا فيه من ذكر آراء القاضي والاستشهاد بها، شأنه شأن من أعقبه من الأصوليين في القرون اللاحقة، انظر من نماذج الإشارة إلى وجوه التشابه بين التقريب والبرهان، قول الدكتور طه جابر العلواني عن الإمام الحرمين وكتابه البرهان في كتابه: أصول الفقه الإسلامي: (ص:24).

(1) لقد ظهر اعتناء الغزالي بالمقاصد في أربعة من كتبه: أساس القياس، والمنخول وشفاء الغليل، والمستصفى، وإذا كان قد اكتفى في أساس القياس والمنخول بإشارات وتلميحات إلى المقاصد، فقد كان شفاء الغليل السراج الوهاج في عرض المقاصد عنده، تجلى ذلك في تعريفه للمقاصد وأقسامها ومكملاتها شفاء الغليل: (ص:159-181)، واهتمامه بالتعليل وخاصة مسلك المناسبة، شفاء الغليل، (ص:142).

أما المستصفى فهو خلاصة فكر الغزالي الأصولي المقاصدي، عرض فيه المقاصد من خلال الأصل الرابع من الأصول الموهومة وهو الاستصلاح، واهتم بالقرائن المقالية والحالية لدورها في تحديد قصد الشارع، فكانت فكرة المقاصد فيه أنضج من غيره، المستصفى: (2/ 478) وما بعدها و (3/ 23-28).

مخلد إلى التقليد والتعصب للمذهب، كيفما كان هذا المذهب فقهيا أو فلسفيا أو لنقل إيديولوجيا، لأنه إن كان هكذا خيف عليه أن ينقلب عليه ما أودع فيه ـ في العلم ـ فتنة بالعرض وإن كان حكمة بالذات والله الموفق للصواب.

ثانيا ـ تعريف مقاصد القرآن:

من المسلم به أن نتصور أن الالتفات إلى مقاصد الشريعة كان مبكرا، وكان ملازما للشريعة نفسها، فقد نشأت المقاصد مع نشأة الأحكام التي انتصب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لبيانها وتبليغها، وكان المقصد الشرعي أحد الأمور الملتفت إليها والمعول عليها في فهم الأحكام واستنباطها، سواء من قبله عليه الصلاة والسلام، أو من قبل أصحابه رضي الله عنهم. وعمدتهم في ذلك المصدر الأوحد في كليته وإطلاقه وقطعيته وكونيته وإنشائه للأحكام، ألا وهو القرآن المجيد، الذي ينطوي على أرقى المقاصد وأعلاها، إذ هو أصل الأصول ومصدر المصادر، ومنطلق أي بناء حضاري يهدف إلى الإعمار والصلاح.

ومن أجل التعرف على ما قيل وما كتب عن مقاصد القرآن في مختلف العصور، وفي مختلف المصنفات والعلوم الإسلامية، لا بد أن نعرف ـ قبل ذلك ـ أن ما نعنيه اليوم بمقاصد القرآن؛ ذلك أن علماء المسلمين قد عبروا بتعابير ومصطلحات متعددة، عن غايات القرآن ومقاصده الكلية.

مثل مصطلحات حِكم، ومعاني، وأسرار، وأغراض، وعلل، ومصلحة، ومراد الشرع.. كلها وغيرها استعملت وما زالت تستعمل للتعبير عن المقاصد وما يندرج فيها.

وكذلك لا بد أن نستحضر، ونحن نرصد ونسجل ما نقف عليه من كلام حول مقاصد الشريعة، أن هناك الشيء الكثير من تراثنا العلمي القديم، ومن أقوال عدد من العلماء وآرائهم، إما لم يدون أصلا ـ وخاصة منه تراث الصحابة والتابعين ومن يلونهم من المتقدمين ـ وإما ضاع ولم يحفظ لنا، وإما أنه محفوظ ولم يصل إلى أيدينا بعد، أو لم تصل أيدينا إليه، وإما أنه بين أيدينا ولكن لم يستكشف ولم يدرس بعد، وهذا كله يبقي باب الاستدراك والتتميم مفتوحا، فلا بد من أخذ هذا التحفظ في الاعتبار[1].

ثالثا ـ مقاصد السور ومقاصد الآيات

ثم إن مما لا يليق بالباحث عن المقاصد القرآنية الذهول عنه هو مقاصد السور ومقاصد الآيات؛ إذ كما أن للقرآن ككل مقاصد وغايات فكذلك للسور القرآنية أيضا مقاصد وحكم، فلكل سورة سورة مقصد أو مقاصد وهدف أو أهداف رئيسة يتركز عليها معاني تلك السورة كما أن للبعض من الآيات أيضا مقصدا أو مقاصد.

وقد طرق هذا الباب غير واحد من السلف الأخيار في تفاسيرهم وإن لم ينصوا عليه تنصيصا، ولم يخصوه بتسمية مستقلة، على عادتهم في الاعتناء بالممارسة العملية والتنزيلية للعلوم دون التنصيص على ذلك في عنوان أو كتاب، بخلاف المتأخرين من علماء الأمة الذين برزوا هذا المسمى ونصوا عليه في مؤلفاتهم، كما هو الشأن مع صاحب الظلال الذي استطاع أن يبرز المعطيات الزمانية والمكانية والموضوعية للسور

(1) فمثلا ذهب بعض الدارسين ـ وهم في ذلك معذورون ـ إلى أن الإمام الغزالي هو أول من استعمل مصطلح الاستصلاح، ثم ظهر أن شيخه الإمام الجويني قد سبقه في ذلك، ثم أظهر البحث أنهما مسبوقان معا بالقاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي المتوفى سنة (417هـ)، ثم فتح الله على أستاذنا الدكتور أحمد الريسوني الذي بين سبق الإمام القفال الشاشي، المعروف بالقفال الكبير (ت 365 هـ) صاحب كتاب «محاسن الشريعة» لكل من سبق ذكرهم، ومن يدري، لعلنا نصل إلى أبعد من هذا وأقدم، انظر: مقاصد الشريعة: دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق، (ص: 192).

القرآنية، والاهتمام بظلالها وجوها العام، و كما هو الشأن مع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي اعتنى بأسماء السور وموضوعاتها ووجوه التناسب بينها وبين سابقتها والتي تلحقها، ووجوه التناسب بين آيها، وبين مقدمتها وخاتمتها... مما يعد في منهجه مقدمة وعمودا لبيان مقاصد السورة.

يضاف إلى ما سبق أن مقاصد السور ومقاصد الآيات تعد من القضايا التي تناولها المفسرون عمليا في تفاسيرهم، ويأتي في صدر من اهتم بها من القدامى مجد الدين الفيروزآبادي (ت817 هـ) في كتابه القيم «**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**»؛ إذ نجده خصص للبيانات الإجمالية عن كل سورة بصيرةً ويأتي في بداية كل بصيرة بتلخيص مقاصد تلك السورة[1]، وأما المعاصرون فصلتهم بموضوع المقاصد أكثر وهم بها أعنى.. بدءا بمحمد رشيد رضا ومرورا بابن عاشور والطباطبائي والشيخ دراز يذكرون في بداية كل سورة مقاصدها، أو تجدهم يسطرون في مدخل تفسير السورة «موضوع السورة كذا وكذا...».

يقول الشيخ دراز: «أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجّمة، يحسبها الجاهل أضغـاثا من المعاني، حشيت حشوا وأوزاعا من المباني جمعت عفوا، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول وامتدّ من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنان في بنيان واحد، قد وضع رسمه مرة واحدة لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، كل ذلك بغير تكلف ولا استعانة بأمر من

(1) راجع: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (من ص:128 إلى ص: 566).

خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه، وأثنائه يريك المنفصل متصلا والمختلف مؤتلفا»[1].

هذا البيان من الأستاذ دراز يفصح عن قوة تواؤم وحسن تضام وكمال؛ تلائم بين المعاني المتفرقة في كل سورة سورة، وعن اتجاهها إلى هدف أو أهداف بحيث تتعانق تلك المعاني المختلفة حول الهدف الواحد أو الأهداف المتعددة، فيجعل ذلك الاتجاه وهذا التعانق من المعاني المتعددة هدفا واحدا أو أهدافا متعددة، يكون مقصدا أو مقاصد للسور، فإذا عمّقنا النظر في مجموع السور القرآنية وجدنا أن جميع تلك المقاصد التي تدور حولها معاني السور القرآنية لا تتعدى هذه المواضيع الرئيسة والمقاصد الخاصة الآتية:

1ـ التاريخ.

2ـ بيان إهلاك أشخاص بعينهم أوتأنيبهم.

3ـ رفض الكفر ومعبوداته الباطلة وترك تقاليده وعاداته.

4ـ بيان فضيلة الزمان أو المكان أو الإنسان.

5ـ الاستعاذة من شرور الأشرار.

6ـ بيان أحوال بعض الكفرة والمنافقين.

7ـ بيان ربانية القرآن.

8ـ بيان حرب من حروب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

9ـ المواعظ ومحاسن الأخلاق والنصائح.

---

(1) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز: (ص: 155).

10ـ الآخرة وأحوالها.

11ـ توجيه الخطاب لأحد بمدح أو ذم أوبيان سائر ما يتعلق به.

12ـ التوحيد وما يستطرده من الصفات الربانية والتصرفات الإلهية.

13ـ الأحكام بجميع أقسامها.

14ـ الاستدلال بجميع فنونه[1].

رابعا ـ العلاقة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة

قبل العوم في بيان أقسام المقاصد القرآنية حري بنا أن نشير لقضية تعد من صميم بحثنا، وهي الفرق بين «المقاصد القرآنية» و«مقاصد الشريعة».

يقول الإمام الشاطبي: «فإذا نظرنا إلى رجوع الشريعة إلى كلياتها المعنوية وجدناها قد تضمنها القرآن على الكمال، وهي: الضروريات، والحاجيات، والتحسينيات، ومكمل كل واحد منهما، وهذا ظاهر..»[2].

ويقول في موضع آخر:«النظر إلى ما دل عليه الكتاب في الجملة وأنه موجود في السنة على الكمال زيادة إلى ما فيها من البيان والشرح، وذلك أن القرآن أتى بالتعريف بمصالح الدارين جلبا لهما والتعريف بمفاسدهما دفعا لهما... وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأأمور، فالكتاب أتى بها أصولا يرجع إليها، والسنة أتت بها تفريعا على الكتاب وبيانا لها فيه..»[3].

---

(1) أضواء على سورة الملك ويليه بعض جوانب الضعف الإنساني في أربع آي من سورة العنكبوت، محمد خليل جيجك: (ص: 27ـ29)، وإن أردت التفصيل أكثر فراجع المصدر نفسه من : (ص: 27ـ31).

(2) الموافقات: (3/ 368).

(3) الموافقات: (4/ 27).

من كلام أبي إسحاق تظهر لنا الوشيجة والرابطة القوية التي تجمع هذين المركبين «مقاصد الشريعة» و«مقاصد القرآن»، فإذا كانت مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لتحقيقها لمصلحة العباد، فإن مقاصد القرآن: هي المطالب والأهداف التي تستهدف من النصوص القرآنية من حيث أن تلك النصوص المؤلفة من جمل وعبارات لها دلالات على معان ومغازي تتمركز تلك المغازي والمعاني حول هدف أو أهداف يشكل ذلك الهدف أو تلك الأهداف المقاصد القرآنية.

وإذا كانت مقاصد الشريعة هي مطالب تستهدف من سن القوانين الشرعية، وإجراء الأحكام الفقهية، كالكليات الخمس التي ذكرها الفقهاء قديما من حفظ النفس والدين والعرض والعقل والمال، فحفظ هذه الأمور وغيرها من تلك الأمور الكلية والجزئية التي تسهدف من سنن الشرعة الحنيفة هي المقصد والهدف الذي يترتب على القوانين الشرعية ويستهدف منها ففي الشريعة الحنيفة أحكام تجرى في المجتمع للحفاظ على نظامه مع قطع النظر من كون تلك الأحكام في قالب نص أم لا، فإن مقاصد القرآن هي المطالب التي تستهدف من النص القرآني اللفظي وأما مقاصد الشريعة فهي الأهداف التي تستهدف من الأحكام التشريعية الإجرائية فهما مصطلحان يختلفان مفهوما ومضمونا وان اتحدا في بعض ما يصدقان عليه من بعض الأفراد كالعدالة.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد حوى أصول مقاصد الشريعة من ضروريات وحاجيات وتحسينيات، كما حوى على العديد من المقاصد العامة والخاصة والجزئية للقرآن وسوره آياته.

المبحث الثاني: نشأة التأليف في مقاصد القرآن

المتأمّل في تاريخ الإبداع الفقهي والأصولي لأعلام أمتنا، يلحظ أن العقل المسلم هو عقل مقاصدي تعليلي قائم على النظر الكلي الغائي، ومبني على منطق أصولي استقرائي استنتاجي، جعله مؤهّلا لأداء دور الاستخلاف والتعمير واستشراف المستقبل وتحقيق مقصد خلود الشريعة وصلاحها وامتدادها الزماني والمكاني عبر اجتهاد تطبيقي مواكب لحركة الحياة لا يرى شريعة اللهّ إلا شريعة عدل ومصلحة ورحمة.

والمقاصد هي ذاتها تشكل منهجا بأسسها ومراميها، وبكلياتها مع جزئياتها، وبأقسامها ومراتبها، وبمسالكها ووسائلها، تشكل منهجا متميزا للفكر والنظر، والتحليل والتقويم، والاستنتاج والتركيب.

والمُستقصِي لما قاله علماء الأمة في هذا الموضوع، يجد أنه بناء على مقولة الشاطبي مثلا أن أوامر الشارع ونواهيه لابد أن يكون وراءها قصد معين، لأن انعدام القصد والهدف عبث في عبث، وبما أن القرآن الكريم أنزل مخاطبا مُكلَّفين فلابد أن يكون قد جاء على نحوٍ تُراعَى فيه أحوالهم، فإنه رحمه اللهّ يحصرها في ثلاثة أصول فقط وهي الوحدانية، والنبوة، والبعث، التي ترجع في أصلها إلى معنى واحد وهو العبودية.

ولمكانتها وأهميتها حث الشيخ محمد الطاهر بن عاشور على النظر إلى مقاصد القرآن، فقال:«أليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها.. فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا.. فلا جرم

كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ»[1].

◈ـ مقاصد القرآن في كتب المقاصد

الكتابات عن المقاصد فيما بعد الجويني، وإلى الشاطبي، جعلت هذه المرحلة مكشوفة ومُضاءة بدرجة جيدة بفضل الأبحاث والدراسات الكثيرة التي حول هذه الحقبة وأعلامها، ابتداء بأبي حامد الغزالي، وانتهاء بأبي إسحاق الشاطبي، مرورا بأبي الوليد بن رشد، وأبي بكر بن العربي، وفخر الدين الرازي، وسيف الدين الآمدي، وعز الدين بن عبد السلام، وشهاب الدين القرافي، ونجم الدين الطوفي، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية... فهؤلاء جميعا نشرت وذاعت ودرست كتبهم وأفكارهم وإسهاماتهم المقاصدية، على ما بينها من تفاوت كبير، كما وكيفا.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى مشيرا إلى أن المقصد العام هو المعرفة الإلهية، وتتشعب عنها فروع كثيرة منها ذكر الذات والصفات والأفعال والمعاد...إلى غير ذلك ومما ذكره الإمام الغزالي (ت 505هـ) من أن المقاصد الأساسية للقرآن الكريم ثلاث: التوحيد، واليوم الآخر، والصراط المستقيم[2].

ويقول العزُّ ابن عبد السلام «ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزَجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»[3].

ويقول«ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله، وزجر عن كل شر دقّه وجله، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء

(1) مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور: (1/ 35-36).
(2) جواهر القرآن، الغزالي: (11/ 28ـ29).
(3) قواعد الأحكام: (1/ 8).

المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح، وقد قال تعالى: ﴿لِّيُرَوْا اَعْمَـٰلَهُمْ ۝٧ فَمَن يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٨ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾»[1].

ويقول: «وأجمع آية للحث على المصالح كلّها والزجر عن المفاسد بأسرها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَـٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]»[3].

وقال الإمام الشاطبي وهو يحكي رحلته مع المقاصد ومع كتاب الموافقات «ولما بدا من مكنون السر ما بدا، ووفّق الله الكريم لما شاء منه وهدى، لم أزل أقيد من أوابده، وأضم من شوارده، تفاصيل وجملا، وأسوق من شواهده في مصادر الحكم وموارده مبينا لا مجملا، معتمدا على الاستقراءات الكلية، غير مقتصر على الأفراد الجزئية، ومبينا أصولها النقلية بأطراف من القضايا العقلية، حسبما أعطته الاستطاعة والمنة في بيان مقاصد الكتاب والسنة»[4].

ثم قال رحمه الله في موضع آخر: «إن الكتاب قد تقرر أن كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه لأنه معلوم من دين الأمة. وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرا وعملا لا اقتصارا على أحدهما، فيوشك أن

(1) قواعد الأحكام: (2/ 189).
(2) سورة النحل، من الآية: 90.
(3) قواعد الأحكام: (2/ 189).
(4) الموافقات: (1/ 9).

يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين، وفي الرعيل الأول. فإن كان قادرا على ذلك ـ ولا يقدر عليه إلا من زوال ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب ـ وإلا فكلام الأئمة السابقين والسلف المتقدمين آخذ بيده في هذا المقصد الشريف والمرتبة المنيفة»[1].

والناظر فيما أنجز من دراسات في هذا المجال يجد أن قدرا معتبرا من النشر والدراسة للمؤلفات والإسهامات المقاصدية قد رأى النور لعدد من علمائنا؛ من فقهاء ومتكلمين وغيرهم. ولقد أصبح الآن لزاما التوجه إلى الدراسة المقاصدية المباشرة لنصوص القرآن والسنة، لأن مقاصد الشريعة ـ في البدء والنهاية ـ إنما هي مقاصد الكتاب والسنة لا أكثر، فإذا كنا نلمس المقاصد ونستخرجها من كتب الفقه وكتب الأصول وغيرها، فأولى بنا أن نلتمسها ونستخرجها من القرآن الكريم والسنة النبوية. فإنما المقاصد مقاصدهما، وإنما الأصول أصولهما.

ورحم الله سيد قطب الذي أبدع في الظلال وفي غيره إبداعا وذبج من كثير ما ذبج في هذا المجال قولته النيرة «القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح: روح المعرفة المنشئة للعمل»[2].

على أن مقاصد القرآن والسنة ليست محصورة في آيات الأحكام وأحاديث الأحكام، بل كل الآيات والأحاديث لها مقاصدها، ويجب أن تدرس وتفهم بمقاصدها، فالقصص القرآني له مقاصده، والأدعية القرآنية والنبوية لها مقاصدها. وضرب الأمثال في القرآن والسنة له مقاصده، كما للآيات والأحاديث التشريعية مقاصدها. وما ذكره غير واحد من العلماء من كون القرآن والسنة مليئين بآلاف التعليلات والتنبيهات

(1) الموافقات: (4/ 144).

(2) معالم في الطريق: (ص: 15).

المقاصدية، يجب استقصاؤه واستخراجه ودراسته بالكامل، وهذا يتطلب عدة أبحاث ومؤلفات[1]. وهذا المجال في تقديري من أهم المجالات والآفاق التي على البحث المقاصدي ارتيادها وإلحاقها بمجالات الدراسات المقاصدية.

كما أن ولي اللهّ الدهلوي (ت1176هـ) يرى أن مقاصد القرآن خمسة: الأحكام، الجدل، التذكير بآلاء اللهّ، التذكير بأيام اللهّ، التذكير بالموت وما بعد الموت[2]، دون أن نغفل في هذا السياق ما أبدع به ذلك الذكاء المتوقّد لعلاّمة العصر محمد الطاهر ابن عاشور (ت1391هـ) في باب المقاصد القرآنية حيث قارب موضوع المقاصد، ولكن بأسلوب آخر وبمضمون آخر غير المألوف المعروف، حيث قاربها من الناحية الأصولية إذ يقول: «إنّ من مقاصد القرآن أمرين آخرين: أحدَهما كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لِمختلِف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، وثانيهما تعويد حَمَلة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كلّ زمان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية ، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بينَ أنظارهم في المطالعة الواحدة. من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين، قائمة مقام تلاحق المؤلّفين في تدوين كتب العلوم، تبعاً لاختلاف مراتب العصور» [3].

(1) مقاصد الشريعة: دراسات في قضايا المنهج: (ص: 212 ـ 213).
(2) الفوز الكبير في أصول التفسير، شاه ولي اللهّ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي: (ص: 19).
(3) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر: (3/ 33).

المبحث الثالث: أنواع مقاصد القرآن وأقسامها

لم يتعارض العلماء في تحديد مقاصد القرآن ولا في الأهداف والمبتغيات، إذ هذه الأمور كلها متفق عليها من طرف الجميع، لكنهم اختلفوا في تحديدها بالضبط وتعدادها وتراتُبها وطريقة الوصول إليها وفهمها وحصرها، فمنهم من فرّع ومنهم من خصص ومنهم من سرَد وفصّل ومنهم من أوجز واختصر ومنهم من توسع، ومنهم من حصر، فالقائلون بأنها سبعة، والقائلون بكونها خمسة، ومنهم من جعلها أربعة، ومن قائل بكونها ثلاثة، والقائلون بكونها أكثر من ذلك أو أقلّ، وكل فريق دعم ما ذهب إليه بجملة من الأدلة والشواهد، مع اتفاقهم في كل ما ينجم عنها وعلى أدلتها.

ـ المقاصد القرآنية عند العلامة محمد رشيد رضا

قام العلامة محمد رشيد رضا بتقسيم مقاصد القرآن إلى عدة أنواع، ذكرها في تفسير المنار[1]، وفي كتابه «الوحي المحمدي» ، تحت عنوان: «مقاصد القرآن في إصلاح نوع الإنسان» وأوصلها إلى عشرة أنواع، أذكرها بإيجاز :

المقصد الأول: الإصلاح لأركان الدين الثلاثة، وهي الإيمان بالله تعالى، والإيمان بعقيدة البعث والجزاء والعمل الصالح .

المقصد الثاني: تصحيح عقائد البشر في الرسل، وذلك ببيان ما جهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسل .

المقصد الثالث: بيان أن الإسلام دين الفطرة، والعقل، والفكر، والعلم، والحكمة، والبرهان، والحجة، والضمير، والوجدان، والحرية، والاستقلال .

---

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: (11/ 206).

المقصد الرابع: الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقق بالوحدات الثماني وهي: وحدة الأمة والدين، والتشريع، والأخوة الدينية، والجنسية والسياسية، والقضاء، واللغة .

المقصد الخامس: تقرير مزايا الإسلام العامة في التكاليف الشخصية الواجبة والمحصورة في عشر قواعد كلية : 1. كونه جامعا لحقوق الروح والجسد. 2. كون غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة 3. كون الغرض منه التأليف بين البشر . 4. كونه يسرا . 5. منع الغلو في الدين وإباحته للطيبات والزينة . 6. قلة تكاليفه وسهولة فهمه . 7. انقسام تكاليفه إلى عزائم ورخص . 8. كون نصوصه مراعى فيها درجات تفاوت البشر في العقل وعلو الهمة وضعفها . 9. معاملة الناس بظواهرهم .10. مدار العبادات على الاتباع المحض، وأحكام المعاملات على المصالح مع مراعاة النص .

المقصد السادس: بيان حكم الإسلام السياسي الدولي: نوعه وأساسه وأصوله العامة .

المقصد السابع: الإرشاد إلى الإصلاح المالي .

المقصد الثامن: إصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها، وفلسفتها .

المقصد التاسع: إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية .

المقصد العاشر: هداية الإسلام في تحرير الرقيق .

ومن خلال العنوان: «**مقاصد القرآن في إصلاح نوع الإنسان**»، يظهر أن مقاصد القرآن عند الرجل ذات غرض متحد، هو إصلاح الإنسان، رغم ما بين بعضها من التداخل والترابط، بحيث تعد كل واحدة منها مكملة للثانية، بمعنى أن الإصلاح

المقصد المشترك لمقاصد القرآن، ولذا جاء كل مقصد من المقاصد العشرة معبرا عن جانب من جوانب هذا الإصلاح .

ـ المقاصد القرآنية عند محمود شلتوت

حدّد الشيخ محمود شلتوت لمقاصد القرآن أقساما وذلك في كتابه: «إلى القرآن الكريم» حيث قال: «إن مقاصد القرآن تدور حول نواح ثلاث: ناحية العقيدة، وناحية الأخلاق، وناحية الأحكام .

فالعقائد: تطهر القلب من بذور الشرك والوثنية، وتربطه بمبدأ الروحية الصافية، وهي تشمل ما يجب الإيمان به في جانب الله من صفات الجلال والكمال، وما يجب الإيمان به في جانب الوحي والرسالات من الملائكة والكتب والنبيين، وما يجب الإيمان به في حالات اليوم الآخر من البعث والجزاء .

والأخلاق: تهذب النفس وتزكيها، وترفع من شان الفرد والجماعة، وتقوي عرى التآخي والتعاون بين بني الإنسان، وتشمل: الصدق، والصبر، والوفاء بالعهد، والحلم، والجود، والرحمة، وغيرها مما يحقق في الإنسان ثمرة إيمانه بالله وصفاته التي يجب أن يكون عليها عباده .

والأحكام: فهي ما بينه الله في كتابه، أو بين أصوله من النظم التي يجب اتباعها، في تنظيم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وتشمل:

❖ أحكام الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، واليمين، والنذر، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة العبادات التي تغذي الإيمان وتنمي ثمراته الطيبة .

❖ أحكام الزواج، والطلاق، وما يتبعهما من مهر، ونفقة، ورضاعة، ونسب، وعدة، ووصية، وإرث، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة الأحوال الشخصية أو أحكام الأسرة .

❖ أحكام البيع، والإجازة، والرهن، والمداينة، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة المعاملات المالية.

❖ أحكام الجنايات والجرائم، كالقتل والسرقة، والإفساد في الأرض، والزنا، والقذف، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة العقوبات.

❖ أحكام الحرب والسلم وما يتبعها من غنائم وأسرى، ومعاهدات، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة الحكام الدولية العامة»[1].

وقد أضاف الشيخ شلتوت الأساليب التي اتخذها القرآن لتحقيق هذه المقاصد وسماها: أساليب الدعوة، فقال: «هذه هي الخطوط الأصلية لمقاصد القرآن الكريم، أما الأساليب التي اتخذها سبيلا للدعوة إلى تلك المقاصد فهي :

أولا: الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء، لتعرف أسرار الله في كونه، وإبداعه في خلقه، وبذلك تمتلئ القلوب إيمانا بوجوده وعظمته عن نظر واقتناع لا عن تقليد واتباع، وبهذا السبيل كرم الله العقل، وفتح له باب البحث عن خواص الأجسام وأسرار الكائنات في الأرض والسماء والماء والهواء، كي ينتفع بها في حياته، ويستخدمها في التعمير والإنشاء .

ثانيا: قصص الأولين، أفرادا وأمما، الصالحين منهم والمفسدين، وقد أورد القرآن في ذلك كثيرا مما يثير العظة والاعتبار، ويرشد إلى سنن الله في معاملة عباده، وهذا هو مقصد القرآن من ذكر قصص الماضين ...

---

(1) إلى القرآن الكريم، للشيخ شلتوت: (ص: 6).

ثالثا: إيقاظ الشعور الباطني في الإنسان فيندفع بوحي هذا الشعور إلى التساؤل عن مبدئه، وعن مادته، وعن حياته، وعن مآله ومصيره، حتى يصل إلى الاعتراف بخالق القوى والقدر، واضح الأسباب والمسببات ...

رابعا: أسلوب الإنذار والتبشير أو الوعد والوعيد .

هذه مقاصد القرآن الكريم، وتلك أساليبه في الدعوة» [1].

ـ المقاصد القرآنية عند محمد الطاهر ابن عاشور

قام العلامة محمد الطاهر بن عاشور، بتقسيم مقاصد القرآن إلى عدة أنواع، ذكرها في تفسيره «التحرير والتنوير» تحت عنوان: «المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها» وأوصلها إلى ثمانية، نذكرها بإيجاز :

◆ **المقصد الأول**: إصلاح الاعتقاد، وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق؛ لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[2].

◆ **المقصد الثاني**: تهذيب الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3] وفسرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[4]، وفي

---

(1) إلى القرآن الكريم، للشيخ شلتوت: (ص: 8).

(2) سورة هود، الآية: 101.

(3) سورة القلم، الآية: 4.

(4) طرف حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (41/ 148) (24601)، وبنحوه أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، الحديث رقم: (746)، من حديث قتادة.

الحديث الذي رواه مالك في الموطأ بلاغا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

◆ **المقصد الثالث**: التشريع، وهو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرِيٰكَ ٱللَّهُ وَ لاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾[2] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[3]، ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب، وجزئيا في المهم، فقوله: ﴿تِبْيَٰناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[4]، وقوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[5]، المراد بها إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس .

◆ **المقصد الرابع**: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها، كالإرشاد إلى تكوين الجامعة بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[6]، وقوله: ﴿إِن ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ

---

(1) وفي رواية: « بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ» ذكره الإمام مالك في موطئه، بلاغا عن رسول الله ﷺ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، الحديث رقم: (3357)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى، جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار، الحديث رقم: (20782) ، وتمام في فوائده: (1/ 121) (276)، كلاهما من طريق أبي هريرة رضي الله عنه، والبغوي في شرح السنة: (13/ 202)(3622).

(2) سورة النساء، الآية: 104.

(3) سورة القلم، الآية: 4.

(4) سورة النحل، من الآية: 4.

(5) سورة المائدة، من الآية: 4.

(6) سورة آل عمران، من الآية: 103.

مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾[1] وقوله: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[3].

◆ **المقصد الخامس**: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصلاح أحوالهم، قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الْغَـٰفِلِينَ﴾[4]، وقال: ﴿أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[5]، وللتحذير من مساويهم، قال: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[6].

◆ **المقصد السادس**: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم لتلقي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين، وفي دعوته إلى النظر، ثم نوه بشأن الحكمة...وقد لحق به التنبيه على فائدة العلم ...

◆ **المقصد السابع**: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة، والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب .

---

(1) سورة الأنعام، من الآية: 160.
(2) سورة الأنفال، من الآية: 47.
(3) سورة الشورى، من الآية: 35.
(4) سورة يوسف، من الآية: 3.
(5) سورة الأنعام، من الآية: 91.
(6) سورة إبراهيم، من الآية: 47.

◆ **المقصد الثامن**: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول[1].

وتحدث ابن عاشور في موضع آخر عن المقصد الأعلى من نزول القرآن، فقال: «إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم، لتبليغهم مراد الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والاجتماعية والعمرانية .

فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر .

وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي، إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك، وهو ضبط تصرفات الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه الحكماء بالسياسة المدنية .

وأما الصلاح العمراني، فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعي المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عن معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع .

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور: (1/ 40ـ41).

(2) سورة النحل، من الآية: 89.

فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين، وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطابا بينا، وتعبدنا بمعرفة مراده والإطلاع عليه، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]»[2].

وكما يظهر من التقسيم الثماني لمقاصد القرآن عند ابن عاشور فهناك تداخل في مراتب هذه المقاصد، ذلك أن بعضها هو مقاصد، لكن البعض الآخر هو في مرتبة الوسائل الخادمة للمقاصد مثل: أخبار الأولين، والمقاصد، والتعليم، والترغيب والترهيب، والإعجاز، فهذه وسائل لتحقيق المقاصد الأصلية، كإصلاح الاعتقاد، وتهذيب الأخلاق، وسياسة الأمة...الخ، وهي التي عناها الشيخ شلتوت بالأساليب .

ومما تفرد به ابن عاشور هو حصره المقصد الأعظم من نزول القرآن في ثلاثة مقاصد، هي: تحقيق الصلاح الفردي، والصلاح الجماعي، والصلاح العمراني، وقد أشار إليه في كتابه «مقاصد الشريعة» بقوله: «إن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساده، فإنه لما كان هو المهيمن على هذا العالم كان في صلاحه صلاح العالم وأحواله، ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هو أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعه وهو النوع كله، فابتدأ بالدعوة بإصلاح الاعتقاد الذي هو مبدأ التفكير الإنساني الذي يسوقه إلى التفكير في أحوال هذا العالم، ثم عالج الإنسان بتزكية نفسه وتصفية باطنه؛ لأن الباطن محرك الإنسان إلى الأعمال الصالحة...ثم عالج بعد ذلك إصلاح العمل وذلك بتقنين التشريعات كلها» [3].

---

(1) سورة ص، من الآية: 29.

(2) التحرير والتنوير: (1/ 38ـ39).

(3) مقاصد الشريعة، لابن عاشور: (ص: 64).

وعبر عنه في موضع آخر بالمقصد العام من التشريع، حيث قال: «المقصد العام من التشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهمين عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه»[1].

وخلاصة تقسيم ابن عاشور لمقاصد القرآن، أنّها تنقسم إلى نوعين: **مقاصد خاصة، ومقاصد عامة** .

فالمقاصد الخاصة: هي تلك الأغراض الحاصلة من أنواع معينة من تشريعات القرآن، كالإصلاح العقدي الحاصل من تشريع أحكام العقائد، وإصلاح النفس الحاصل من تشريع أحكام الأخلاق والعبادات، والإصلاح العائلي الحاصل من تشريع أحكام الأسرة...الخ .

أما **المقاصد العامة**: فهي تلك الأغراض العليل الحاصلة من مجموع أحكام القرآن، وهي ثلاثة:؛ تحقيق الصلاح الفردي والصلاح الاجتماعي، والصلاح العالمي.

ـ المقاصد القرآنية عند الشيخ محمد الغزالي

ذهب الشيخ **محمد الغزالي** ـ رحمه الله ـ في كتاب الجليل «المحاور الخمسة للقرآن الكريم» إلى تبني القول بأن القرآن الكريم مع استفاضة معانيه، وكثرة سوره، وتشابه آياته وموضوعاته، فإنه يمكن القول بأنه يدور على محاور خمسة، وتشكل هذه المحاور في المنظور الغزالي أهم القضايا القرآنية وأجلها، وفي هذا يقول ما نصه: «... والقرآن الكريم مع استفاضة معانيه، وكثرة سوره، يمكن القول بأنه يدور على محاور خمسة. فالتشابه قائم بين آياته، وتكرار المعاني والغايات مأنوس في سياقه: ﴿اللهِ نَزَّلَ أَحْسَنَ

(1) التحرير والتنوير: (ص: 64).

ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[1]، والآية تشير إلى أن القرآن لا يحتوي على مباحث نظرية مجردة، أو قضايا من اختلاق الترف العقلي، كلا»[2].

وأما هذه المحاور الخمسة، فقد حصرها الشيخ ـ رحمه الله ـ في محور الله الواحد (التوحيد) وفي محور الكون الدال على خالقه، وفي محور القصص القرآني، وفي محور البعث والجزاء (الحشر) وفي محور التربية والتشريع.

أما المحور الأول: «محور التوحيد» فقد دارت عليه سور القرآن الكريم، وذلك لأن الناس قديما كانوا «يعرفون الألوهية معرفة ناقصة أو مشوهة فكانوا يضمون إلى عبادة الله عبادة آلهة أخرى، من صنع أنفسهم، وكان تعصبهم لهذه الآلهة المختلفة شديدا، وربما كان حظها من الإقبال والخشية أكثر من حظ الإله الحق. وعندما جاء الرسل يفردون الله بالعبودية، ويخاصمون الاتجاه إلى الوثنية قوبلوا بحرب شعواء»[3].

وأما المحور الثاني، هو إثبات كون الكون دالا على خالقه، فقد عنيت آيات كثيرة إلى لفت النظر إلى هذا المحور، وذلك لأن الكون في المنظور الإسلامي نفيس القيمة «غال عند صانعه ــجل جلاله- لا لأنه بذل فيه جهدا، أو دفع فيه ثمنا، كلا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَنْ يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4] إن غلاءه راجع إلى دلالته على خالقه، فقد بني لبنة بالحق، وانتظمت أرجاءه قوانين محكمة، تجلى فيها المجد الإلهي في

(1) سورة الزمر، الآية: 22.
(2) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: (ص:16).
(3) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: (ص: 58 وما بعدها).
(4) سورة يس، الآية: 81.

أبهى صورة ... وقد لفتنا القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى عظمة الخالق في كونه، كي نزداد به إيمانا وله إذعانا»[1].

أما المحور الثالث، وهو محور القصص القرآني، فهو أوسع المحاور القرآنية، ويعتبر مقصود، وأثر للتربية ومصدر توجيه ووعظ، إذ لكل «قصة في موضعها إيراد مقصود، وأثر مغاير يحتاج إليه السامع لتكتمل به الحقيقة التاريخية والعناصر التربوية» ( ) فسواء أكانت القصص التي قصها القرآن منفردة أو مكررة، فإنها في نهاية المطاف تشكل «أداة تربية، ومصدر توجيه ووعظ يدعم الفرد والجماعة. قصص القرآن قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحيي الأعلى للتعليم والاعتبار.. والقرآن الكريم عندما يقص ينفخ الحياة في القرون الهامدة، فإذا هي حية تسعى نسمع فيها ضجيج العراك بين المحقين والمبطلين، إن شريط الأحداث يتحرك ليعيد علينا مراحل مضت من تاريخ الدنيا»[2].

وأما المحور الرابع، وهو محور البعث والجزاء، فقد أكثر القرآن الكريم «..الحديث عن الدار الآخرة وحسابها الدقيق ونعيمها المقيم وعذابها الدائم، وأكد للبشر أن حياتهم فوق التراب فترة صغيرة وأن استغراقهم في الأحزان والأفراح خدعة كبيرة، وأن المسلك الوحيد الرشيد هو الإيمان بالله واليوم الآخر»[3].

«إن من الأمر الجلي أن يقف المرء على تكرار ذكر البعث والجزاء في كتاب الله ولا تكاد تخلو منه سورة على الإطلاق ففي.. السورة الأولى من القرآن الكريم، حمد لله رب العالمين، المالك ليوم الدين، أي يوم الجزاء، وهي سورة يقرؤها المسلم عشرات المرات

(1) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: (ص: 93).
(2) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: (ص: 100).
(3)المحاور الخمسة للقرآن الكريم: (ص: 144).

كل يوم. وعكس هذا الذكر المتصل نجد أسفار موسى الخمسة التي تتصدر العهد القديم وتسمى التوراة، إنها خالية من أي ذكر للبعث والجزاء خالية من أي ترغيب في الجنة أو ترهيب من النار، كأن مؤلف كتاب رأس المال «كارل ماركس» هو الذي وضع هذه التوراة، وعجيب أن يخلو دين من التنبيه إلى لقاء الله، وأن يضرب صفحا عن ذكر الدار الآخرة. وهذا الإغفال كان له أثره في إخلاد اليهود إلى الأرض، وفي صياغة تفكيرهم المادي وفي اعتبار جنتهم ونارهم في هذه الحياة وحدها»[1].

وأما المحور الخامس، وهو محور التربية والتشريع، فيمكن للمرء تلمسه من خلال نصوص الذكر الحكيم التي تشتمل على عبارة «الله يحب، والله لا يحب» فقوله «.. ﴿وَلاَ تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2] وبعد سطو ر قليلة ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3] هذه قوانين عامة يجب أن تضبط مسالك الناس جميعا..»[4]، وثمة آيات كثيرات ترد في القرآن الكريم في هذا السياق دالة على أهمية التربية والمعيار الضابط لدائرتها، فكل ما يحبه الله فيه ارتقاء بالإنسان إلى مدارج الكمال والتحضر، وكل ما لا يحبه، ففيه انحدار بالإنسان إلى مدارك الانحطاط والهبوط والتخلف.

وعلى العموم، ذلك هو الطرح الغزالي للمقاصد الأساسية التي رام الكتاب العزيز إثباتها، والتأكيد عليها، وإن تميز هذا الطرح بشيء، فإنه تميز بربط تلك المحاور بواقع الحياة المعيش، وعني المؤلف بالتوسع في هذا الجانب إلى الدرجة التي كاد فيه المقصد الأساس من ذكر هذه المحاور أن يختفي بعض الشيء، إذ في بعض الأحيان يجد القارئ

---

(1) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: (ص: 145 ـ146).

(2) سورة البقرة، الآية: 189.

(3) سورة البقرة، الآية: 194.

(4) المحاور الخمسة للقرآن الكريم: (ص: 187 وما بعدها).

نفسه كأنه يقرأ في كتاب يحاول أن يقدم حلولا لبعض من الانحرافات في التصور والسلوك والتي تكاد أن تعم الحياة الإسلامية على جميع مستوياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

ـ المقاصد القرآنية عند الدكتور يوسف القرضاوي

يختلف الدكتور يوسف القرضاوي إلى القول بأن القرآن الكريم دعا إلى جملة من المبادئ والمقاصد أكدها القرآن الكريم، وكررها، وعني بها أشد العناية، وبالتالي، فإن هذه **المقاصد السبعة** تمثل ـ بمنطوق النص ـ أهم المقاصد والمبادئ التي تشتملها السور والآيات القرآنية، وأما ما عداها، فإنها لا تخلو من أن تندرج ضمن أحد هذه المبادئ والمقاصد. وفي هذا يقول الشيخ ما نصه: «.. لقد دعا القرآن الكريم إلى كثير من المبادئ والمقاصد التي لا تصلح الإنسانية بغيرها، ونجتزئ هنا بسبعة منها، مما أكده القرآن وكرره، وعني به أشد العناية، وهي:

تصحيح العقيدة والتصورات للألوهية والرسالة والجزاء.

1) تكريم الإنسان ورعاية حقوقه.

2) توجيه الناس إلى حسن عبادة الله وتقواه.

3) الدعوة إلى تزكية النفس البشرية.

4) تكوين الأسرة وإنصاف المرأة.

5) بناء الأمة الشهيدة على البشرية.

6) الدعوة إلى عالم إنساني متعاون[1].

---

(1) انظر: كيف نتعامل مع القرآن العظيم: (73ـ125).

فهذه المقاصد السبعة تمثل أمهات المقاصد القرآنية وأصولها، وحاول الشيخ أن يثبت اشتمال السور والآيات القرآنية على هذه المقاصد، فأورد ما يشتمله كل واحد منها من عناصر دالة على حقيقة المقصد المذكور.

وقد حاول الشيخ القرضاوي أن يبدي وجود هذه المقاصد على مستوى الآيات القرآنية المختلفة، واستفرغ طاقته في اختيار الآيات التي تؤكد هذه المبادئ وتدعو إليها وتحث المؤمنين على العمل بها، ولئن تميز هذا الطرح بشيء، فقد تميز بإصرار الشيخ على تحرير ما يحتضنه كل مقصد كلي من مقاصد جزئية، وبتعبير آخر عني بإبراز العناصر التي تتكون منها هذه المقاصد كلها، الأمر الذي يجعل فهمه وإدراكه متيسرا وسهلا.

ـ المقاصد القرآنية عند الدكتور طه جابر العلواني

وأشير هنا كذلك إلى محاولة أراها من الأهمية بمكان، وهي التي قام بها الدكتور طه جابر العلواني، عندما اقترح أرضية أخرى لبناء االمقاصد العليا الحاكمة، لتوجيه البحث والنظر باتجاه الكليات الناظمة للجزئيات والفروع، لكي يتبلور الفكر المقاصدي الكلي، وتتكون هذه الأرضية من مبادئ قرآنية هي: العهد، والاستخلاف، والأمانة، والابتلاء ثم التسخير، وربطها بمجموعها من مجالات الاستنباط الفقهي.

وبالتالي تتمثل المقاصد القرآنية العليا بالقيم التي استخلف الإنسان لتحقيقها، وهي: **التوحيد والتزكية، والعمران**، لتكون مقياسا لسائر أنواع الفعل الإنساني، ولجميع الآثار المترتبة عليها في الدنيا والآخرة، وهذه المقاصد الثلاث تستدعي المستويات الأخرى من المقاصد كالعدل، والحرية، والمساواة، والتي بدورها تستدعي المستوى الأخير، من ضروريات وحاجيات وتحسينات.

وهذه المقاصد يمكن حصرها في ثلاثة: «التوحيد، والتزكية، والعمران»، فـ«التوحيد» حق الله على العباد والدعامة الأساس لفقه الدين والتدين ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

وأما التزكية فهي أهم نتائج التوحيد، وأهم ما يبرز أثر التوحيد فيه، وأهم المؤهلات التي تجعل الإنسان قادرا على الوفاء بالعهد الإلهي، والقيام بحق الاستخلاق، والتمكن من حمل الأمانة، والنجاح في اختبار الابتلاء، والتمكن من إحياء الأرض وعمارتها ماديا ومعنويا.

وأما العمران، فهو نصيب الكون المسخر وغاية الاستخلاف، والمقصد الأسنى ومن التسخير، وبه يسير الكون والإنسان والحياة ـ كلها ـ والأحياء ـ أجمعون ـ في قافلة تسبح موحدة للواحد الأحد﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[2].

وهذه المنظومة المقاصدية القرآنية العليا الحاكمة هي التي تؤسس «للفقه الأكبر»، وتضبط حركة الفقه، وتعطيه الوجهة والقبلة، وتنفي عنه الشكلية والجزئية، والنفس القانوني الجاف الجامد[3].

---

(1) سورة النحل، الآية: 36.

(2) سورة الإسراء، من الآية: 44.

(3) ابن رشد الحفيد الفقيه الفيلسوف، الدكتور طه جابر العلواني: (ص: 36 ـ 37).

ومن شأن المقاصد العليا الحاكمة ـ حسب الدكتور طه جابر العلواني ـ أن تساعدنا أيضا على تطوير «نظرية معرفية عامة» في العلوم الشرعية كلها، وكذلك في العلوم الاجتماعية أو «علوم العمران»، وهي تسمح أيضا بتطوير الثقافات المحلية والقومية، وتستطيع استيعابها، كما تستطيع إيجاد نسق حضاري موحد يسمح بقيام مجتمع عالمي قادر على استيعاب وتجاوز الخصوصيات الثقافية وال حلية والقومية، وإقامة مجتمع «الهدى والحق»[1].

وبذلك يصوغ الدكتور طه جابر العلواني منظومة جديدة للمقاصد القرآنية بديلة يستوحيها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وتعبر هذه المنظومة المقاصدية عن محاولة جادة أصيلة في تجديد الاجتهاد في حقل المقاصد عموما والمقاصد القرآنية على وجه الخصوص، بنحو يمكن أن تشكل هذه المقاصد العليا إطارا يوجه عملية الاستنباط الفقهي، لبلوغ الحكم الشرعي المواكب لمستجدات الحياة[2].

ـ المقاصد القرآنية عند الأستاذ النورسي

لم تغب فكرة المقاصد عن عقل الأستاذ النورسي وهو يفكر وينظر، ويحلل ويقوم، ويستنتج ويركب، فقد كانت المنهجية المقاصدية تلازم كل كتاباته، وتسكن جميع همومه، وتحضر في جميع دفاعاته عن الإسلام وذلك بسبب ما أفاض اللهّ على قلبه من أنوار القرآن وبصائر الوحي.

---

(1) أزمة المنهج العلمي، يمكن الاطلاع على بعض معالمها في كتاب«ندوة العلوم الاجتماعية» إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997م.

(2) انظر الحوار الذي أجراه عبد الجبار الرفاعي مع الدكتور طه جابر العلواني ـ إضافة إلى حوارات مع د. أحمد الريسوني، ود. حسن الترابي، و د.جمال الدين عطية وآخرون، مقاصد الشريعة، تحرير الرفاعي عبد الجبار: (ص: 65ـ139).

والنورسي رحمه اللهّ عمل بهذا الأمر بحسب رؤيته الموضوعية والكلية لآيات القرآن وأحكامه، ولم يكن يرى في مقاصد القرآن سوى بنية كلية جامعة تترابط أجزاؤها وتتداخل معانيها ودلالاتها، وهي تخضع في النهاية لناظم ينظمها، يقول: «إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة»[1]. ويُثْبت بعد صفحات حيث يقول: «فاعلم أن المقصد الأصلي في القرآن إرشاد الجمهور إلى أربعة أساسات هي: إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدالة»[2].

وفي صيقل الإسلام يبين بوضوح انبثاثها في كل القرآن :«إن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية المنبثة في كل جهاته أربعة إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل»[3].

ثم إنه غير خاف على المتتبع لكليات الأستاذ النورسي أنه يصرّح في كل مناسبة بادية أن المقاصد الأساسية والعناصر الأصلية التي يتركز عليها البياني القرآني بأجمعه ويدور حولها الاستطرادات القرآنية بأكملها أربعة: التوحيد، والرسالة، والحشر، والعدالة مع العبودية [4].

وفي كثير من نصوص النورسي تأكيد على أن مقصد المقاصد ومطلب المطالب هو معرفة اللهّ تعالى وعبادته وهو الذي تنتظم داخله أمهات المقاصد والكليات، فكل سورة وآية وحرف في القرآن الكريم يشهد شهودا تاما أزليا فيوضات لا تنتهي من الأسرار والمعاني المقررة لهذه المقاصد والمبينة لها والضامنة لسعادة الإنسانية، ولذلك اكتسب

(1) الصيقل الإسلامي (ضمن آثار بديعية)،النورسي بديع الزمان سعيد: (ص: 421).
(2) مقدمة مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: (ص: 71).
(3) راجع مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر ابن عاشور: (ص: 218ـ219).
(4) المثنوي العربي النوري، النورسي: (ص: 75).

خطاب القرآن الكريم «صفة الكلية والسعة المطلقة والرفعة السامية والإحاطة الشاملة؛ لصدوره مباشرة من المقام الواسع المطلق للربوبية العامة الشاملة للمتكلم الأزلي سبحانه...»[1].

(1) الشعاعات، النورسي: (ص:303).

خاتمة

بعد هذا التطواف السريع مع مقاصد القرآن الكريم، تظهر الحاجة الملحة إلى إعادة ضخ دماء الحياة في هذا اللون من ألوان العناية بالكتاب الكريم، وذلك باستئناف الحفر في مظانه، ثم تريب فصوله وأبوابه، ومعرفة رجاله، ودراسة مناهج الاشتغال فيه، ومحاولة استنباط الهدى المنهاجي الكامن فيه، مع التأكيد على ما يلي:

◈ إذا كانت المقاصد غايات عامة، وكليات وأصولا، ومصالح أراد الشرع تحقيقها وسعى إلى إقامتها فلا يصح لمن يتصدر للاجتهاد أن يكون عاريا منها، جاهلا بها، وفي هذا المعنى يقول الدكتور الريسوني:«وبما أن المقاصد هي مقاصد الرب سبحانه، فلابد أن يكون تحديدها والتصريح بها صادرا عنه وعن القرآن الكريم، فمثل هذه المسألة لا تحتمل التخمينات ولا التأويلات ولا الاستنتاجات، بل لابد أن تأتي صريحة ساطعة قاطعة»[1].

◈ إذا كانت مقاصد القرآن كما مقاصد الشريعة ومعرفتها والكشف عنها ليس شيئا اكتشفه اللاحقون أو ابتكره المتأخرون، بل هو أمر حاضر منذ أو يوم نزل فيه القرآن، وقد فهم جيل التلقي مقصدية الكتاب ومقصدية السنة على أتم الأوجه في العبادات والمعاملات وسائر أبواب التشريع، وأقول كما قال ابن القيم«والقرآن وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح.. ولو كان هذا في القرآن والسنة نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة»[2].

---

(1) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، د.الريسوني: (ص:57).

(2) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: (2/ 22)، وانظر: إعلام الموقعين (1/ 169)، وشفاء الغليل: (2/ 537 ـ 575).

◈ وقد اجتهد العلماء على مر العصور في وضع المقاصد المستقرأة في أنساق محددة، منها النسق التقليدي لتصنيف المقاصد والذي اجتهد في بنائه وبيانه جيل من الفطاحل أمثال الجويني، والغزالي، والشاطبي، وأعني هنا التقسيم المشهور: مقصد حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والعرض، وهي التي تذكر عادة ضمن أبواب المصالح، أو الضروريات، في تكامل تام مع الحاجيات والتحسينيات، كما نجد حديثا عن تقسيم ثلاثي آخر وهو: المقاصد العامة، والخاصة، والجزئية، ونجد عند المعاصرين محاولات اجتهادية تضيف أنساقا مقاصدية جديدة، من أهمها بل لعله تاجها ما حاولنا بيان بعض متعلقاته في هذا البحث، أعني مقاصد القرآن، والتي للأسف لم تلق حظها من العناية، رغم أهميتها في إعادة ربط الأمة بكتابها، وتسهيل وتيسير إحياء هذه العلاقة.

◈ ومن هنا فإن التأصيل لمقاصد القرآن هو تأصيل لمقاصد التشريع من جهة، ومن جهة أخرى هو تأصيل لبعض المفاهيم التي نجد شحا في طرقها والخوض في غمارها من طرف السابقين، أو لنقل أن طرقت بنوع من الاختصار والتداخل، أو تحت مسميات أخرى.

◈ لا شك أن مقاصد القرآن تحتاج إلى استقراء وبذل الوسع في التنقيب المتأني عنها في مظانها، من كتب التفسير، وكتب الأصول، وكتب المقاصد، ثم تأتي عملية التدبر، على حد تعبير الإمام الشاطبي «فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر»[1] المقتضي للغوص في المادة المستقرأة، ومن شروط هذا المستوى من الفهم ومن صفات المتمسكين بالكتاب حسن

(1) الموافقات: (4/ 209).

التدبر والتفكر في آياته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1] ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[2].. ومن صفاتهم التحصن عن كل ما يصرف عن إتقان القراءة أداءً ومنهجا، وذلك بالاستعاذة بالله سبحانه﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[3] .. ثم إيلاء القراءة حقها ومستحقها من الحضور والاستيقاظ والتوفز ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4] .. ثم تلاوة الكتاب ـ لفظا وسلوكا ـ حق تلاوته ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[5] ..

(1) سورة النساء، من الآية: 81.
(2) سورة ص، من الآية: 28.
(3) سورة النحل، الآية: 98.
(4) سورة الأعراف، من الآية: 204.
(5) سورة البقرة، من الآية: 121.

ملحق

1ـ مخطوطات مقاصد القرآن:

◈ **أسرار الفاتحة**، لملا خسرو محمد بن فرامرز بن علي الرومي الحنفي (ت885هـ)، موجود بـــ:

1. مكتبة الأوقاف / بغداد: 1/ 44 [13(2356 مجاميع)]ـ 1و.

2. جامع قليج علي باشا/ تركيا: 82 [مجموع / 1028].

◈ **أنهار السلسبيل لرياض أنوار التنزيل ومزاج الزنجبيل لحياض أسرار التأويل** (شرح أوائل أنوار التنزيل للبيضاوي ت 685هـ)، للبرزنجي ـ محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسني ـ (ت 1103هـ).

1.دار الكتب / القاهرة، 1/ 33 [22م]ـ (بروكلمان 2/ 511، (م) 2/ 529).

2.مكتبة ولي الدين 18 [303]ـ 788 ص ـ بعنوان: أنهار السبيل للسيد محمد بن رسول الحسين البرزنجي؟

◈ **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، القاري (نور الدين الملا علي بن سلطان محمد الهرزي) المتوفى (سنة 1014هـ).

1.مكتبة عارف حكمت/ المدينة المنورة: (نشرية 5 / 1968/ 442) [11]ـ 750 و ـ 1010هـ.

2.جامعة إستانبول: 1 / 262 [3898 . A 615]ـ 646و ـ 1049هـ.

3.مكتبة سالارجنك/ الهند: 3/ 43 [28 . taf 460] ـ 330و ـ ق 11هـ ـ إلى أثناء الآية 47 من سورة يونس ـ ناقص الآخر.

4.متحف طوبقبوسراي/ إستانبول 1/ 579 ـ 580 2137] [177. R ـ 452و ـ1138هـ.

5.مكتبة بلدية الإسكندرية/ مصر: (الشندي / التفسير) 5 [1076 ب] ـ 1143هـ.

6.المكتبة الظاهرية/ دمشق: (ع.ق) 3/ 75 ـ 58 [7212] ـ ج 2 (367و) ـ 1143هـ ـ من سورة يونس إلى سورة القصص.

7.العثمانية/ حلب 25 ـ 26 [21 التفسير] (355+ 2و) ـ 1144هـ بعنوان: تفسير القاري.

8.مكتبة بلدية الإسكندرية: (الشندي/ التفسير) 5 [207أ] ـ (2ج) ـ 1147هـ.

9.جامعة الرياض: 2/ 121 [1896] ـ 516و (جزء منه) ـ 1166هـ ـ من سورة إبراهيم إلى آخر القرآن.وغيرها ...

◈ **التفسير المسمى بكشف الأسرار وهتك الأستار للأزنيقي** (علي بك) ت 1019هـ، يوجد بـ:

1. مكتبة نور عثماني/ تركيا: 52 [415].

2. مكتبة نور عثمانية: 25 [416].

◈ **تفسير مظاهر الأسرار** (سورة الفاتحة) لشريعتمدار الأسترآبادي (الحاج ملا محمد جعفر بن سيف الدين) ت 1263هـ.

1.مدرسة سبهسالار/ طهران: 1/ 171 ـ 173 [1996] ـ 78و ـ 1231هـ (بروكلمان (م) 2/ 829).

◈ **جامع الأسرار للكوراني** (عبد المحسن بن سليمان الكردي) ت 1050هـ، يوجد بـ:

1. متحف مولانا/ تركيا: 1/ 20ـ 21 [23/ Clit 85] ـ 385و ـ 1048هـ من سورة آل عمران إلى آخر سورة المائدة.

2. مكتبة الحرم المكي الشريف: (ع.ق) 61 ب176ي ـ 270وـ ق12هـ.

3. مكتبة أوقاف الموصل/ العراق: (المحمدية) 7/ 17 [7/ 3] ـ 653و ـ في الفهرس ت 1040هـ.

4. متحف مولانا/ تركيا: 1/ 21 ـ 22 [23/ Clit 86] ـ 283و.

5. المكتبة المحمودية/ المدينة المنورة: 6[228/ 124] ـ 198و.

◈ **جواهر الأسرار وذخائر الأنوار** للسبزاواري (محمد علي بن محمد شفيع الحسيني كان حيا 1091هـ، (وهي حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي) ويوجد بـ:

1.دار الكتب/ القاهرة (فؤاد): 1/ 225 [19172 ب] ـ 251و ـ بخط المؤلف ـ سورة الفاتحة وسورة البقرة.

◈ **رسالة في أسرار بسم الله الرحمن الرحيم المسماة بفتح الكريم الوهاب**، للبوني تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرشي (ت 622هـ):

1. مكتبة كوبريلي/ تركيا: 2/ 597 ـ 598 [مجموع 336/ 13] ـ(62بـ68أ) ـ1022هـ.

2. مكتبة خدابخش/ الهند: 2/ 419 [2589/ 3] ـ 6و ـ 1100هـ.

3. مكتبة جاريت (يهودا)/ جامعة برينستون: 44 [(4602) 1-491] ـ (172ب-176أ) ـ ق11هـ.

4. جاريت 44 [(4465) 2-491] ـ 3و ـق11/ 12 هـ.

5. دار المخطوطات/ البحرين: 1/ 19 ـ20 [9] ـ 2و ـ 1260هـ.

6. مكتبة جامع الكبير (الغربية)/ صنعاء: 24 [مجموع 20] ـ (265ـ260و).

7. مكتبة الدولة/ برلين: 3/ 525 [1/ . 1804. We 4156] ـ (6أـب).

◈ **رياض الأزهار وكنز الأسرار في تفسير القرآن** للخروبي (أبو عبد اللهمحمد بن علي الطرابلسي) ت 963هـ:

1. مكتبة طلعت (م.م.خ 226 ــ 227) ــ [324 تفسير] ــ 8أجزاء.

2. مكتبة نور عثمانية 20[311] ــ (ج1).

◈ **الطريقة الواضحة في أسرار الفاتحة** للقليبوي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن سلامة) ت 1069هـ يوجد بـ:

1. مكتبة جاريت (يهودا) 38[(5912) -414] ـ 20و ـ1246هـ.

◈ **عقود الدر والجوهر في نبذة من أسرار سورة الكوثر** لابن أبي شريف وتوجد بـ:

1. المكتبة الظاهرية (ع.ق) 2/ 202 ـ 203 [5881ي 6 و (82ـ87) ضمن مجموع ـ ق9هـ قبل 879هـ.

◈ **سر الفاتحة** لابن عجيل (أبو العباس أحمد بن موسى ابن علي بن عمر اليمني) ت 690هـ، توجد نسخة منه بـ:

1.أمبروزيانا 2/ 109 [B- VI -104 . B. (228)]ـو175أ.

◈ **كشف الأسرار في التفسير** لليزدي (رشيد الدين) يوجد بـ:

1.مكتبة قليج علي باشا 12 [172]ـ (بروكلمان (م) 2/ 988).

◈ **كشف أسرار النبأ** للبقرسي (محمد بن حسين) كان حيا 1265هـ:

1.جامعة إستنبول 1/ 282 [2231 A 655]ـ 100وـ1265 هـ بخط المؤلف.

◈ **معدن الأسرار على الفاتحة** لمحمد بن شعبان:

1.العمومية / إستنبول 32[627/ 346]

◈ **الواضحة إلى أسرار الفاتحة**، للبوني تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرشي ت 622هـ) وتوجد نسخة منه بـ:

1. بولس سباط [1/ 522]ـ 58 و (للمجموع)ـ 1157هـ.

2. مكتبة الفاتيكان: 1/ 161 [23/ 1130] - (260ب- 261)- بعنوان:فصل في سر الفاتحة.

◈ **أسرار الآيات وأنوار البينات للصدر** الشيرازي (ت 1059هـ) ويوجد بـ:

1.ملك الوطنية 1/ 38 [2472]ـ 73و- ق 12هـ.

2.المكتبة الوطنية / باريس: (فايدا) 3/ 2/ 224 [1366]ـ 158 و- ق12هـ (بروكلمان (م) 2/ 988).

3.مكتبة رضا: 4/ 405 [6144] ـ 82و ـ 1216هـ.

4.المكتبة الوطنية/ طهران: 8/ 340 ـ 341 [(835/ع) ـ 304/د] ـ 173و- 10244هـ.

5.جامعة برنستون (مخطوطات جديدة)/ نيو جيرسي: [19 ـ 72] [(481) ـ 91 و (ناقص الآخر) ـ ق 13هـ. بهامشه ملاحظات كتبها هادي السبزاوي ت 1285 هـ؟ بخطه).

6.المكتبة الوطنية/ طهران 10/ 40 [1539/ 4/ 10- 446/ م] ـ (ص 339- 536) ـ ضمن مجموع ـ ق 13هـ.

7.مكتبة رضا/ الهند: 4/ 406 [5672] ـ 119و.

8.مكتبة الوزيري/ إيران: 5/ 1548 ـ 1549 [21057/ 2] (10ـ83و) ضمن مجموع.

◈ـ **إبداع حكمة الحكيم في بيان بسم الله الرحمن الرحيم** للخادمي ، (أبو سعيد محمد بن محمد ابن مصطفى بن عثمان) ت 1176هـ، موجود بـــ:

1.مكتبة بلدية الإسكندرية (الشندي/ فنون) 39 [5094 ج / 2] .

2.الخزانة التيمورية/ مصر: 1/ 71 [مجاميع 297].

3.دار الكتب/ القاهرة: (فؤاد) 1/ 6 [3850ج].

◈ **أسرار القرآن**، لمصنفك (محمد) توجد بـ : مكتبة أسعد أفندي/ تركيا:4 [35].

◈ **أسرار التنزيل وأنوار التنزيل** لابن الخطيب ، توجد نسخة منه مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس: 4/ 106 [3528] ـ 153و ـ 1103هـ.

◈ **أسرار الفاتحة للرومي**، أحمد بن السيد الرومي، موجود بخزانة شهيد علي باشا: 4 [41].

◈ **أسرار متشابهات الفرقان** لعبد الله بن أبي سعيد ، موجود بالمكتبة الظاهرية،(ع.ق) 2 / 34 ـ 35 [1037] ـ 8 وـ ق 12هـ.

◈ **مرآة القرآن: رؤية الآيات في ترتيب البيانات**، للتشريفاتي ـ عاكف أفندي ـ كان حيا سنة (1266هـ) ويوجد بـ:

1.مكتبة بلدية الإسكندرية (الشندي/ التفسير) 30 [1212ب] ـ 1266هـ.

2.جامعة إستنبول 1/ 300 [1724 A 695] 211و ـ 1266هـ وهو في الفهرس أحمد عاكف.

3.مكتبة الحرم المكي (ع.ق) 124 [4600] ـ 200و ـ ق13هـ ؟.

4.جامعة إستنبول 1/ 300 [4998 A 696] ـ 415و ـ في الفهرس أحمد عاكف .

◈ **أسرار الآيات القرآنية** للخلوتي (جمال الدين إسماعيل بن عبد الرومي) ت 899هـ، موجود بـ:

1.دار الكتب/ الطاهرية 1/ 32 [330 مجاميع]

◈ **أسرار الوحي** لأبي الليث السمرقندي (إمام الهدى أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة 373هـ) موجود بـ:

1. مكتبة الدولة/ برلين 2/ 618 [2601 .Pet. 690/9] ـ (55-65أ) ـ 1170هـ – (بروكلمان 1/ 211، سر 1/ 450)و.

2. مكتبة الدولة / برلين 2/ 618 [5/ 315 bm. 2601] ـ (49ـ21أ) ـ (بروكلمان 1/ 211، سر 1/ 450).

◈ **تشييد جامع خواص أسرار القرآن وتأييد الذخيرة المعدة لنوائب الزمان**، مختصر من جامع خواص أسرار القرآن، لشيخ عبد الرحمن بن علي بن أحمد القرشي.

1. موجود بالمكتبة الأزهرية: (1/ 170 [5 338) حليم 34104]

2 ـ مخطوطات مجهولات المؤلفين:

◆ **الأسرار المودعة في بعض سور القرآن الكريم**، المركزية / جامعة طهران (م.م.خ 21/ 2 (1975)/ 161) [1035/ 14].

◆ **دعاء يوم الأربعاء لزين العابدين مع إيضاح أسرار القرآن وخواصه وغير ذلك من الفوائد من الآيات الكريمة**، موجود بالجامع الكبير (الغربية) صنعاء 830 [مجموع 296] ـ (و112 – 116).

◆ **أسرار الفاتحة مع ترجمته إلى الملاوية**، بجامعة ليدن 28 [.Qr7351] ـ (و 103ـ107).

◆ **أسرار سورة الإخلاص**، بـ عاشر أفندي 73 [مجموع 1147].

◆ **خواص أسرار القرآن**، بـ عاشر أفندي 16 [244].

◆ **رسالة في التنبيه على بعض الأسرار المودعة في سور القرآن الكريم**، بـ نور عثمانية 332 [مجموع 5009].

◆ **رسالة في أسرار فواتح كلام الله تعالى**،بمكتبة ولي الدين 251 [مجموع 1817].

◆ **رسالة في أسرار آية «اقتربت الساعة وانشق القمر»** بـمكتبة ولي الدين 254 [مجموع 1825]

◆ **رسالة في فضائل وأسرار وخواص قراءة سور من القرآن وتعبير قراءتها في المنام،** بـ خزانة تطوان (ق.ع) 164 [(264) 826] ـ (و110-128).

◆ **فوائد (منتخبة من) كتاب اللوامع والأسرار من منافع القرآن** للبسكري (عيسى بن سلامة) كان حيا سنة 860هـ، بـالمكتبة الوطنية / باريس (فايد) 2/ 3/ 49 [(2) 1176)].

◆ **الفضائل الجامعة في أسرار الفاتحة،** متحف طوبقبوسراي/ إسطانبول: 1/ 560 [r 2078.191] ـ 34و- ق 10هـ.

◆ **أسرار حروف قرآنية،** العمومية ، (إبراهيم) 5 [49] ـ بعنوان: أسرار حروف قرآنية (رسالة).

◆ **أسرار الحروف المقطعة في أوائل السور،** متحف مولانا: 1/ 35 [I -55 clit (117)] ـ (1-6ب) ضمن مجموع.

◆ **تفسير أسرار حروف بسم الله والحمد .**

1.تونك 1/ 80 ـ 82 at- Tafsir 175] [169/ T ـ 36و ـ ق9هـ تقريبا.

◆ **جامع الأسرار في تفسير الفاتحة،** بـ:

1.الجامع الكبير (الأوقاف)، صنعاء: 813 [مجموع 283] ـ (و32ـ 108) .

◆ رسالة في أسرار فواتح كلام الله تعالى، بـ :

1.مكتبة ولي الدين، تركيا 254 [مجموع 1817] .

◆ رسالة في أسرار آية «اقتربت الساعة وانشق القمر» توجد بـ:

1.مكتبة ولي الدين: 254 [مجموع 1825].

◆ **مرآة العارفين في أسرار سورة الفاتحة**، متحف مولانا 1/ 207 [Clit 225 (II) 1637]ـ(8ـ13و).

◆ **كتاب في أسرار سورة الإخلاص**، يوجد بـ عاشر أفندي 73 [مجموع 1147].

◆ **أسرار الخطاب في قوله تعالى** (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم):

1.مكتبة آيا صوفيا 63 [1018]ـ(ج3).

◆ **ورد أسرار القرآن** بالتيمورية 1/ 139 [مجاميع 308] ـ 199 ص (ضمن مجموع).

3 ـ الكتب المطبوعة:

◆ **أسرار الآيات، محمد بن إبراهيم القوامي** الشيرازي، الملا صدر الدين، المتوفى سنة 1059 هـ، مطبوع بطهران[1].

◆ **أسرار ترتيب القرآن**، للسيوطي، القاهرة، دار الاعتصام 1398 هـ 1978م. في 178 صفحة.

◆ **أسرار التكرار في القرآن**، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، المتوفى نحو 505 ه 1110م، ويعرف بتاج القراء. مطبوع: دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا. الطبعة الثانية 1396هـ/ 1976م، دار الاعتصام القاهرة.أسرار الأنوار الإلهية بالآيات المتلوة، أبو حامد الغزالي، المتوفى سنة 505 هـ[2].

---

(1) مصنفات القرآن الكريم : (ص: 30).

(2) ورد ذكره في كشف الظنون: (1/ 82).

◆ **بغية المشتاق في أسرار الحروف والأوقاف**، ألفه محمد بن سنار الأحمدي الشافعي[1].

◆ **أسرار البسملة**، تأليف التافلاتي، محمد بن المغربي التافلاتي الأزهري الخلواتي، المتوفى سنة 1191 هـ 1777م، وله حسن التبيان في معنى مدلول القرآن[2].

◆ **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تأليف صديق حسن خان، محمد صديق خان بن حسن بن علي لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، المتوفى سنة 1307 هـ، 18889م. مطبوع في عشرة أجزاء وهو في التفسير يغلب عليه طابع الفقه[3].

◆ **فقه القرآن**، تأليف أبي الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي، المتوفى سنة 573 هـ، 1187م[4].

◆ **كنز العرفان في فقه القرآن**، لمقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد الوري الحلبي الأسدي المتوفى سنة 826 هـ، 1423م.

مطبوع، ومنه نسخة محفوظة في المكتبة العامة في المركز الثقافي بأصبهان تحت رقم 22 مكتوب باللغة[5] العربية بخط شهاب الدين، قطب الحرودثي كتب سنة 1048، ومطبوع في مجلد صغير على هامش تفسير الحسن العسكري، وهو من تفسيرات الإمامية الإثني عشرية.

---

(1) إيضاح المكنون: (1/ 190)، نقلا عن مصنفات القرآن (ص: 1/ 74).

(2) مصنفات القرآن: (1/ 95)، وانظر ترجمته في الأعلام: (7/ 296 ـ 297).

(3) مصنفات القرآن: (1/ 103).

(4) ورد ذكره في إيضاح المكنون: (3/ 200)، وقد ترجم له صاحب الأعلام ولكنه لم يذكر نسبته الراوندي. وانظر مصادر ترجمته في طبقات الأطباء: (1/ 254)، هدية العارفين: (1/ 390)، الأعلام: (3/ 156).

(5) مصنفات القرآن: (1/ 105).

- **عجيب البيان في أسرار القرآن**، تأليف القنوجي عبد الباسط بن رستم، علي بن علي، أصفر القنوجي، المتوفى سنة 1223ه ـ 1808م[1].
- **من أسرار القرآن**، تأليف مصطفى محمود، بيروت ـ دار العودة.
- **من أسرار القرآن**، حروف القرآن، تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين، طبع في الرياض، شركة عكاظ 1403 هـ/ 1983م، وهو يقع في 200 صفحة.
- **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، د. عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم، 2008م.

(1) تصنيفات القرآن: (1/ 149)، انظر ترجمته: أبجد (841)، الأعلام: (4/ 44)، هدية العارفين: (1/ 494)، معجم المؤلفين: (5/ 69).

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**
- **الاجتهاد المقاصدي، حجيته، وضوابطه، ومجالاته،** تأليف نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة عدّد 66، قطر، الطبعة الأولى 1998م.
- **أحكام القرآن،** لأبي بكر العربي ، دار الفكر د. ت.
- **أصول الفقه الإسلامي منهج بحث ومعرفة،** تأليف الدكتور طه جابر العلواني، نشر العهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة، الطبعة الأولى 1408هـ/ 1988م.
- **أضواء على سورة الملك ويليه بعض جوانب الضعف الإنساني في أربع آي من سورة العنكبوت،** محمد خليل جيجك، دار نشر جميل ـ إسطنبول، 1994م،
- **الاعتصام، للإمام الشاطبي،** دار الحديث، ط1، 2000م.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين،** للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم (ت 751هـ)، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشر دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى 1414هـ/ 1993م.
- **الأعلام،** لخير الدين الزركلي (ت1396هـ)، نشر المطبعة العربية، الطبعة الثانية 1928م.
- **إلى القرآن الكريم،** محمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، د.ط.د.ت.
- **البرهان في أصول الفقه،** لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت 478هـ)، طبع دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة 1992م.

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، المكتبة العلمية بيروت، د.ت.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت1205هـ)، نشر دار الفكر للطباعة والنشر (بلا تاريخ).
- **تحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ط 1984م.
- **تفسير القرآن الحكيم (المنار)**، محمد عبده ورشيد رضا، دار الفكر ودار المعرفة، بيروت ط 2. د. ت.
- **الثابت والمتغير في فكر الإمام أبي إسحاق الشاطبي**، تأليف مجدي محمد محمد عاشور، نشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م.
- **جواهر القرآن**، الغزالي محمد بن محمد أبو حامد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م،
- **شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل**، للإمام الغزالي (ت 505هـ)، نشر مطبعة الإرشاد، بغداد طبعة 1971م.
- **الصيقل الإسلامي (ضمن آثار بديعية)**،النورسي بديع الزمان سعيد، إستانبول 1999م.
- **الغياثي، غياث الأمم في التياث الظلم**، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت478هـ)، ط.2، 1401هـ.
- **الفوز الكبير في أصول التفسير**، شاه ولي اللهّ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي تعريب سليمان الندوي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية، بيروت، 1407هـ،1987م
- **قواعدّ الكبرى أو قواعدّ الأحكام في إصلاح الأنام**، لأبي محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام (ت 660هـ)، تحقيق الدكتور نزيه كمال حماد والدكتور عثمان جمعة ضميري، نشر دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1421هـ/ 2000.

- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة (ت1068هـ)، طبع دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1402ه/ 1982م.
- **كليات الأساسية للشريعة الإسلامية**، أحمد الريسوني، دار الأمان ـ الرباط، دار السلام ـ القاهرة، ط.1، 1431هـ/ 2010م.
- **كيف نتعامل مع القرآن العظيم**: (73ـ125)، دار الشروق. ط. 4. 1425هـ/ 2005م.
- **لسان العرب، لابن منظور**، دار صادر، دار الفكر بيروت، د. ت.
- **مثنوي العربي النوري**، النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ط.3، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، 2003م
- **محاور الخمسة للقرآن الكريم**،محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، د.ط، د.ت.
- **مستصفى في علم الأصول**، لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ)، طبعه وصححه محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، طبعة 1417هـ/ 1996م.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت 770هـ)، طبع بولاق، مصر الطبعة الثالثة 1316هـ.
- **معالم في الطريق**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط.6، 1399هـ/ 1979م.
- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (ت 395هـ) تحقيق عبد السلام هارون، نشر دار الفكر، بيروت، طبعة 1399هـ/ 1979م.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، د.ط، د.ت.

- **مقاصد الشريعة الإسلامية**، لمحمد الطاهر ابن عاشور: تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، ط.1، 1999هـ/ 1420م، الأردن
- **مقاصد الشريعة عند ابن تيمية**، تأليف الدكتور يوسف أحمد محمد بدوي، نشر دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة الأولى 1421هـ/ 2000م.
- **مقاصد الشريعة**: دراسات في قضايا المنهج ومجالات التطبيق، محمد سليم العوا، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط.1، 2006م.
- **مقاصد الشريعة**، تحرير عبد الجبار الرفاعي، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى 1422هـ/ 2002م.
- **مقدمة مقاصد الشريعة الإسلامية**، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، محمد الطاهر الميساوي، دار الفجر ودار النفائس، ط.1، 1420هـ/ 1999م
- **الموافقات في أصول الشريعة**، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت 790هـ)، بشرح الشيخ عبد الله دراز، د.ت.
- **النبأ العظيم**، محمد عبد اللهّ دراز، 1970هـ/ 1390م،
- **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، تأليف الدكتور أحمد الريسوني، نشر دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى 1418هـ/ 1997م.
- **هدية العارفين في أسماء المصنفين**، تأليف إسماعيل باشا البغداد (ت 1339هـ)، دار الفكر بيروت، ط.1، 1402هـ/ 1982م.